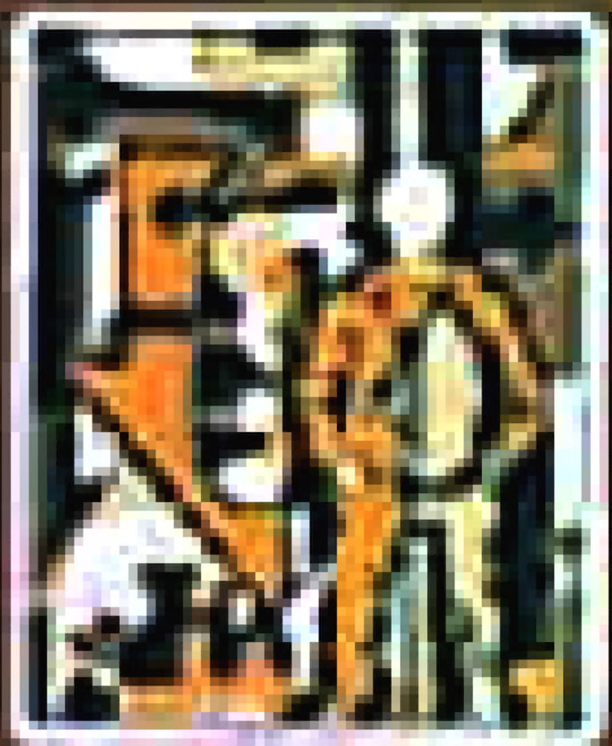
نظرية المعرفة المعاصرة



د. صلاح إسماعيل

إهــداء

إلى روح الفيلسوف الدكتور/ زكى نجيب محمود

الذى من أجله أحببت الفلسفة

صلاح إسماعيل

اسم الكتاب: نظرية المعرفة المعاصرة

اسم المؤلف : د. صلاح إسماعيل

الطبعة الأولى

سنة النشر : 2005م

رقم الإيداع : 13612 / 2005م

الترقيم الدولي : 7- 64 - 6122 - 977

الناشر

الدار المصرية السعودية

للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة

E-Mail: egysaudi@link.net

الإدارة : (16) عمارات العبور شارع صلاح سالم
الدور الثالث – مدينة نصر – القاهرة

تليفاكس : 02/2621365

محمول : 012/3140315

مكتب السعودية : ت : 009661/4651389

تليفاكس : 4631336

مكتب بيروت : 009613685473 - 0096101786315

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ
شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ
تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾

قرآن كريم . سورة النحل 78

المحتويات

مقدمة

أردت في هذا الكتاب أن أقدم رؤية معاصرة للابستمولوجيا epistemology أو نظــرية المعــرفة، وأنا هنا لا أفرق بينهما. وبذلك أساير التقليد الأنجلو أمريكى. والابســتمولوجيا كلمــة مشــتقة من كلمتين يونانيتين هما: episteme وتعنى معرفة knowledge، و logos وتعــنى نظرية. والابستمولوجيا فرع من فروع الفلسفة يهتم بطبيعة المعرفة الإنسانية، وأنواعها، وإمكانيتها، ومصادرها، ومجالها وحدودها.

وتســعى الابســتمولوجيا إلى الإجابة على جملة من الأسئلة يقع فى موضع الصدارة منها ما يلى :

1- ما المعرفة ؟

2- ما الذى يمكن أن نعرفه ؟

3- كيف نعرف ما نعرفه ؟

4- كيف تكون اعتقاداتنا مسوغة أو مقبولة ؟

تقتضــى الإجابــة على السؤال الأول تحديد مفهوم المعرفة، وتتطلب الإجابة علــى الســؤال الــثانى بيان مجال المعرفة وأنواعها مثل المعرفة الحسية، والمعرفة الأولــية a priori، والمعــرفة الدينية، والمعرفة الأخلاقية، والمعرفة العلمية، ونحو ذلك. وما دامت المعرفة ممكنة، وهذا يعنى أننا نستطيع تفنيد حجج النزعة الشكية فى المعــرفة، ســيكون فــى مقدورنا طرح السؤال الثالث وبقية الأسئلة الابستمولوجية. يــتعلق الســؤال الثالــث بمصــادر المعرفة المتنوعة وهى العقل والتجربة والحدس والوجــدان، وكــل هــذه المصادر تدخل فى إطار مصدر عام هو الوجود. وتضيف

المعــرفة فى التصور الإسلامى إلى هذا المصدر مصدراً آخر هو الوحى. والسؤال الرابع ينصب على مفهوم التسويغ الابستمولوجى.

والمعــرفة حالــة عقلــية يدرك فيها الإنسان غيره أو ذاته، وهى علاقة أحد جوانــبها الــذات العارفــة، والجانب الآخر موضوع المعرفة الذى تتجه إليه الذات العارفــة بصورة مباشرة أو غير مباشرة. واتجاه الذات العارفة بصورة مباشرة إلى موضــوع المعــرفة يعنى أن الذات تتصل بالموضوع اتصالاً تجريبياً مباشراً، وهذا الــنوع من المعرفة يسمى معرفة بالإدراك المباشر، مثل معرفة الأشخاص والأشياء وحالاتى العقلية الخاصة. واتجاه الذات إلى الموضوع بصورة غير مباشرة يعنى أن الــذات تــدرك قضــية "عن" العالم، وهذا النوع من المعرفة يسمى معرفة قضوية؛ فمعرفة الدكتور زكى نجيب محمود هى مثال للمعرفة بالإدراك المباشر، ومعرفة أن الدكــتور زكى نجيب محمود فيلسوف هى مثال للمعرفة القضوية. وتحظى المعرفة القضوية - وهى معرفة أن كذا وكذا هو الواقع - بعناية البحث الابستمولوجى وسر ذلــك أن القضية هى الصيغة التى ننقل بها المعرفة من شخص إلى آخر، بينما يتعذر علينا نقل المعرفة بالإدراك المباشر بهذه الطريقة.

ويقــول الــتعريف المعــيارى أو الثلاثى للمعرفة إن المعرفة القضوية لها ثلاثة شــروط ضرورية على انفراد individually necessary وكافية بالاشتراك معاً jointly sufficient، وهى الاعتقاد belief والصدق truth والتسويغ justification؛ ومن ثم يتلخص التعريف الثلاثى فى القول إن المعرفة اعتقاد صادق مسوغ.

يناقش الفصل الأول معانى المعرفة، وأنواعها، وتعريفها التقليدى، ونقد جيتر لهــذا الــتعريف، وموقــف الفلاســفة من نقد جيتر، ويوضح الفصل الثانى اختلاف الفلاســفة حــول شــرط الاعتقاد، ثم يعرض نظريات الاعتقاد. ويأتى الفصل الثالث ليناقش مفهوم الصدق، ويميز الأسئلة المطروحة حوله، ويجيب على السؤال: ما هو

حامل الصدق؟ ثم يعرض نظريات الصدق بصفة عامة، ويتوقف عند نظريتين بارزتين هما التناظر والاتساق. وفي كل واحدة منهما يوضح معاني النظرية وأنواعها، والحجج المؤيدة لها، والانتقادات التي توجه إليها. وإذا ما وصلت إلى نهاية الفصل، ألفيت شرحاً يسيراً للصدق من وجهة النظر البراجماتية.

إن المعرفة ليست اعتقادًا صادقًا فحسب، لأن بعض الاعتقادات الصادقة يتم تأييدها عن طريق التخمين المحظوظ ومن ثم لا توصف على أنها معرفة. فالمعرفة تتطلب امتلاك الأسباب الجيدة التي ترفع الاعتقاد الصادق إلى مرتبة المعرفة. وهذا هو شرط التسويغ. ومع ذلك فقد جادل "جيتر" في هذا التصور الثلاثي للمعرفة وطالب بتعديله. وقال بعض الفلاسفة لابد من أن نضيف شرطًا رابعاً مؤداه أن التسويغ الكامل الذي يملكه الإنسان لما يعتقد به يجب ألا يعتمد على أية جملة كاذبة.

وسوف أفحص في الفصل الرابع نظريتين في التسويغ بشيء من التفصيل، وأشير بإيجاز إلى نظريتين. والتصور البسيط للتسويغ المعرفي هو أن الشخص يكون مسوغًا في الاعتقاد بأن (ق) إذا قام اعتقاده بأن (ق) على أسس كافية.

النظرية الأولى هي نظرية الأسس أو النزعة الأسسية، وتبعًا لهذه النظرية فإن المعرفة والتسويغ يقومان على نوع ما من الأساس. ويتألف هذا الأساس من اعتقادات أساسية تكون مسوغة في ذاتها، ويرتكز عليها تسويغ جميع الاعتقادات الأخرى. والنظرية الثانية هي نظرية الاتساق أو نزعة الاتساق. وتقوم هذه النظرية على الدعوى القائلة إن الاعتقاد يكون مسوغاً إذا كان ينتمي إلى مجموعة متسقة من الاعتقادات. وينكر أصحاب نظرية الاتساق الحاجة إلى اعتقادات أساسية لأن جميع الاعتقادات يجوز تسويغها عن طريق علاقتها باعتقادات أخرى بواسطة التأييد المتبادل. أما النظرية الثالثة فهي النظرية الخارجية. ويقول صاحب النظرية الخارجية إننا لا نحتاج إلى اعتقادات أساسية ولا إلى اتساق لكي نحصل على

المعــرفة، وإنمــا نحــتاج بالأحرى إلى النوع الصحيح من العلاقة الخارجية بين الاعــتقادات والواقع للحصول على المعرفة. وتبعًا لجولدمان فإن العلاقة الملائمة هــي علاقــة سببية. أما أرمسترونج ودرتسكى فقد حاولا البرهنة على أن العلاقة تنشأ من قانون ما فى الطبيعة. والنظرية الرابعة هى نزعة بين الأساس والاتساق. وتقــدم ســوزان هــاك هذه النظرية بديلاً للنزعة الأسسية ونزعة الاتساق. وتتفق نظريــتها مع نزعة الاتساق على أنه لا توجد اعتقادات أساسية، وتتفق مع النزعة الأسسية على أن التجربة يمكن أن تكون ملائمة للتسويغ التجريبي .

يضــرب المذهــب الطبــيعى بجذوره فى تاريخ الفلسفة، ولكن تطبيقه فى الابستمولوجيا شهد تقدماً ملحوظاً فى النصف الثانى من القرن العشرين، وهو تقدم مصــاحب لــتقدم العلم فى مناهجه ونتائجه، وأصبحت حركة تطبيع الابستمولوجيا تلقى رواجاً متزايداً فى وقتنا الحالى.

ويعــود الاهــتمام بالابستمولوجيا الطبيعية إلى مقالة كواين "الابستمولوجيا متطــبعة" عــام 1969. وفي هذه المقالة، حاول البرهنة على تناول جديد لمعالجة الأســئلة الابســتمولوجية، ووضع حجة على تحويل الابستمولوجيا إلى فرع جديد وذلــك بجعلها جزءًا من العلم الطبيعي. والرأي عند كواين أن وجهة نظر ديكارت فــي الابستمولوجيا بوصفها فلسفة أولى حكم عليها بالإخفاق، وذلك بسبب متابعتها مــن خارج العلم . إن الابستمولوجيا، كما تمت ممارستها بصورة تقليدية، مشروع معياري . إنها تبحث عن المعايير التي يجوز استعمالها لتسويغ اعتقاداتنا وأحكامنا. ويتفق العقليون والتجريبيون التقليديون على أن البحث عن هذه المعايير داخل العلم الطبيعــي غــير مشــروع، لأن هدف الابستمولوجيا التقليدية هو تقديم أساس للعلم الطبيعي. ولكن الطبيعيين يرفضون استقلال الابستمولوجيا، ويبحثون عن الاتصال بيــن الابســتمولوجيا والعلــم الطبيعــي. يقول كواين إنني أنظر إلى الفلسفة ليس بوصفها أساساً أولياً للعلم، وإنما بوصفها متصلة بالعلم.

وهناك كثير من الفلاسفة يرفعون الآن شعار الابستمولوجيا الطبيعية، مثل ألفن جولدمان، وفريد درتسكي، وهيلاري بتنام، ولاري لودان، وآخرون . والسؤال الذى يطرح نفسه ويحتاج إلى إجابة هو : هل هناك فكرة طبيعية واحدة توحد الطبيعيين، أم أن هناك صورًا كثيرة من المذهب الطبيعي بقدر ما يكون هناك طبيعيون ؟

ونسعى في الفصل الخامس إلى تحقيق عدة أهداف. أولاً، تحديد المفاهيم المختلفة التي تندرج تحت اسم الابستمولوجيا الطبيعية. ثانياً، توضيح الحجج التي قدمها الابستمولوجيون الطبيعيون لتأييد نظرياتهم. ثالثاً، مناقشة الانتقادات المهمة التي وجهها الفلاسفة إلى الابستمولوجيا الطبيعية. رابعاً، بيان موقفنا من الابستمولوجيا الطبيعية من خلال دفاعنا عن "المذهب الطبيعي الابستمولوجي المعتدل". وطالما أن الابستمولوجيا الطبيعية بمعناها القوى، في استعمالها الإيجابي، تعادل النزعة العلمية، فإن هذا الفصل يسعى إلى الإجابة على سؤال عام يتعلق بشرعية النزعة العلمية.

لقد خضعت الابستمولوجيا فى النصف الثانى من القرن العشرين لنقد وفحص دفعها إلى تطور جد خطير فى الشكل والمضمون، الأمر الذى حدا بالفلاسفة إلى التمييز بين الابستمولوجيا التقليدية والابستمولوجيا المعاصرة. وما أحب أن تظن بى الغلو فى مناصرة الفكر المعاصر، وإنما أريد أن تستعرض نظريات التسويغ، مثلاً، لتتبين أن الفلاسفة المعاصرين يسلكون فى فهم التسويغ طرقاً لم تكن مألوفة من قبل، ولم تخطر للقدماء والمحدثين على بال. وإذا خرج القارئ من قراءة هذا الكتاب وقد تشرب هذه الروح الجديدة فى التفكير فقد حقق الكتاب رجائى فيه. وكلى أمل أن يلتفت شباب الباحثين فى العالم العربى إلى القضايا الجديدة والاتجاهات المعاصرة فى الابستمولوجيا، مثل الابستمولوجيا الاجتماعية، وابستمولوجيا الخبرة الدينية، والابستمولوجيا الأخلاقية،

والابستمولوجيا النسوية، والابستمولوجيا والذكاء الاصطناعى، بالإضافة إلى الابستمولوجيا العلمية .

والله تعالى اسأل أن ينفع بهذا العمل، وأن يثيب كل أساتذتى فى قسم الفلسفة بجامعة القاهرة، وأن يجزى خيراً أستاذى الأستاذ الدكتور محمد مهران الذى ما فتئ يعلمنى ويشجعنى ويفيض علىّ من روحه الكريمة. وأرفع الثناء الطيب إلى عالم الاجتماع الأستاذ الدكتور محمد الجوهرى الذى مد لى يد العون فى مقتبل حياتى العلمية وطوق قلبى بجميل لن أنساه ما حييت. ولا يفوتنى أن أشكر الأستاذة الدكتورة شفيقة بستكى الأستاذة بقسم الفلسفة جامعة الكويت على حسن رعايتها لبحوثى المنشورة فى المجلات العلمية لجامعة الكويت، والتى شكلت جانباً من هذا الكتاب.

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملى فى هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله فى ميزان حسناتى، وما أحسن قول القائل:

وما من كاتب إلا سيفنى
ويُبقى الدهرُ ما كتبت يداهُ
فلا تكتب بكفك غير شىء
يسرك فى القيامة أن تراهُ

مدينة 6 أكتوبر

فى 27 ربيع الأول 1426 هـ

5 مايو 2005 م

صلاح إسماعيل